جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

النوازل الطبيعية بواعثها وآثارها في القرآن الكريم

"دراسة موضوعية"

إعداد الدكتورة

الخنساء بنت قاسم شماخي

أستاذ التفسير وعلومه المساعد بكلية الشريعة والقانون
جامعة جازان - المملكة العربية السعودية

النوازل الطبيعية بواعثها وآثارها في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

إعداد الدكتورة

الخنساء بنت قاسم شماخي
أستاذ التفسير وعلومه المساعد بكلية الشريعة والقانون
جامعة جازان- المملكة العربية السعودية

ملخص البحث

النوازل الطبيعية سنة من سنن الله في الكون، تُرى ليل نهار، وتصيب البشرية بخيرها وشرها، فلكل عصر أدواته ووسائله، ولكل أهل زمان عاداتهم وأعرافهم الخاصة، وقد تميز هذا العصر عن العصور السابقة بالتطور المادي الكبير الذي شمل كافة نواحي الحياة، وبخاصة في مجال العلوم والتكنولوجيا، وقد اهتم القرآن الكريم بذكر النوازل، من حيث بيان بواعثها وآثارها، مما تناوله القرآن الكريم بالوصف والبيان، وتشمل النوازل الزلازل والبراكين والأمواج العاتية (الطوفان) والجدب، وبيان وصف القرآن الكريم لهذه الظواهر، واستنباط بواعثها وأهدافها، فمن أهم بواعث النوازل الطبيعية في القرآن الكريم: الابتلاء، وإظهار قدرة الله تعالى، فيمن كفر وكذب الرسل، وفي ذات الوقت تكون عقاباً للطغيان، والترف، وكثرة الذنوب والمعاصي، وعليه فيترتب على هذه النوازلالكثير من الآثار الدينية والاجتماعية والبيئية.

الكلمات المفتاحية: (النوازل- الطبيبعية- الزلالزل- البراكين- الطوفان- الجدب).

Natural Calamities, Motives and Goals in Noble Qur'an "Subjective Study"

Prepared by Dr.

Al-Khansaa Bint Kassem Shamakhy

Ass. Prof. Of Tafseer and Its Science – College of Shariea and Law – Jazan University - KSA

Research Summary

Natural calamities are a year of God's Sunnah in the universe. They are seen day and night, and they afflict mankind with its good and evil. Every age has its tools and means, and all people of a time have their own customs and customs. This age was distinguished from previous ages by the great material development that included all aspects of life, especially in the field of science. And technology, the Noble Qur'an has been concerned with mentioning calamities, in terms of explaining their motives and effects, from what the Noble Qur'an has dealt with in a description and explanation. The calamities include earthquakes, volcanoes, tidal waves (floods) and drought, and the Qur'an's description of these phenomena, and the derivation of their motives and goals. The Noble Qur'an: Affliction, and the manifestation of God Almighty's power in those who disbelieve and lie the Messengers, and at the same time they are a punishment for tyranny, luxury, and the proliferation of sins and transgressions, and accordingly these afflictions have many religious, social and environmental effects.

Key Words: (Earthquakes - natural events - earthquakes - volcanoes - floods – aridity).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد،،،**

فمما ابتلى الله به البشرية في هذه الآونة؛ هذه الأوبئة الفتاكة، والفيروسات المهلكة، كفيروس كورونا المسمى علمياً بـــ "كوفيد-١٩ "أو "فيروس مرض كوفيد-١٩" والذي يُعد من النوازل التي حلت بالبشرية فأصاب منها من أصاب، وفزع منه من فزع، ومات منه من مات، ولا تزال البشرية في حيرة من أمرها، والعلماء والأطباء لا يدخرون وسعاً للبحث عن دواء، وبلا شك أن له دواء إن شاء الله تعالى؛ وفي الحديث عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ: "**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أَصَبْتَ دَوَاءَ الدَّاءِ، بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى**"(١)، وليس هذا أول بلاء يحل بالبشرية، ولا آخر بلاء ينزل عليها، فضلاً عن النوازل الأخرى من الزلازل والبراكين، والجدب والقحط التي تناولها القرآن الكريم.

ومن هنا استلهم الباحث فكرة النوازل الطبيعية في القرآن الكريم، فهي مذكورة في القرآن الكريم كمثال لما يحل وينزل ببني الإنسان، فأراد الباحث أن يقف على هذه النوازل الطبيعية، ويبرز بواعثها وآثارها في القرآن الكريم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تتمثل أهمية هذا الموضوع فيما يلي:

١- اهتمام القرآن الكريم بالنوازل الطبيعية لما لها من أهمية كبيرة في جانـــب الابتلاء، وتعظيم قدرة الله تعالى.

(1) أخرجه مسلم من حديث جابر (ﷺ)، كتاب: السلام، بـــاب: لكـــل داء دواء واســـتحباب التداوي، حديث رقم: ٢٢٠٤، د.ط، ١٧٢٩/٤.

٢- مكانة القرآن العظيمة، ومنزلته السامية، وحاجة الناس الماسة لمعرفة النوازل المتعلقة به بحكم ارتباطهم الوثيق بكتاب ربهم في حياتهم اليومية؛ وبالتالي جاءت هذه الدراسة على هذا النسق.

٣- تناول القرآن الكريم لهذه النوازل الطبيعية؛ فيه إشارة إلى الإعجاز القرآني الذي يُقوّي الإيمان ويُرسّخه.

٤- دراسة النوازل الطبيعية في القرآن الكريم تتطلب من طلاب العلم بذل الجهد واستفراغ الوسع في دراستها، والبحث في أغوارها.

٥- دراسة هذا الجانب من جوانب القرآن الكريم، تُظهر كمال الشريعة الإسلامية، وقدرة القرآن الكريم على استيعاب كافة الحوادث والنوازل، وسبق العلم الحديث بمئات السنين.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في كون الوقوف على معالجة القرآن الكريم لهذه النوازل الطبيعية يفيدنا من حيث مواجهة النوازل الحديثة، فيستفاد مما ذكر لما استجد.

أسئلة البحث:

تتمثل أسئلة البحث في الأسئلة الآتية:

١- ما هي أهم النوازل الطبيعية التي تناولها القرآن الكريم بالوصف والبيان؟

٢- ما هي بواعث القرآن الكريم في تناول هذه النوازل؟

٣- ما هي أهم آثار هذه النوازل من خلال البيان القرآني؟

أهداف البحث:

١- بيان أهم النوازل الطبيعية التي تناولها القرآن الكريم بالوصف والبيان.

٢- الوقوف على بواعث هذه الظواهر للإفادة من خيرها وتجنب شرها.

٣- الوقوف على آثار هذه الظواهر للإفادة من خيرها وتجنب شرها.

منهج البحث:

سلك الباحث المنهج الوصفي التحليلي، بحيث حاول بيان وصف القرآن الكريم لهذه الظواهر، واستنباط بواعثها وآثارها في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على بحث علمي منشور في مجلة محكمة، أو مقال علمي بذات العنوان لهذا البحث، وإن وجدت بعض المقالات التي تناولت بعض الموضوعات القريبة منه، مثل:

١- مقال حمدية صالح دلي، بعنوان: الظواهر الطبيعية أثرها واستخدامها في العصور الإسلامية – جامعة القادسية ٢٠١٧م.

٢- البحوث والكتب الخاصة بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، منها: الإعجاز العلمي، الدكتور خالدمنتصر ٢٠١٦م.

٣- مقال صالح بن أحمد الشامي، بعنوان: الطبيعة في القرآن ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام- الطبيعة والإسلام، منشور على موقع شبكة الألوكة.

وقد استفاد الباحث من هذه المقالات العلمية بصفة عامة، ولكن تميز البحث بمحاولة بيان النوازل الطبيعية في القرآن الكريم وبيان بواعثها وآثارها المختلفة من خلال الآيات القرآنية.

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي.

المبحث الأول: حقيقة النوازل في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: بواعث النوازل في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: آثار النوازل في القرآن الكريم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج المترتبة على البحث، ثم ثبت المصادر والمراجع، والفهرس.

المبحث الأول

النوازل في القرآن الكريم

أولا: النوازل في اللغة وفي الاصطلاح:

النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه، ونزل عن دابته نزولاً، ونزل المطر من السماء نزولاً، والنازلة: الشديدة من شدائد الدهر تنزل، والنزال في الحرب: أن يتنازل الفريقان، ونزال: كلمة توضع موضع أنزل، ومكان نزل: ينزل فيه كثيراً، ووجدت القوم على نزلاتهم، أي منازلهم، قاله ابن الأعرابي: والنزل: ما يهيأ للنزيل، وطعام ذو نزل ونزل، أي ذو فضل، ويعبرون عن الحج بالنزول، ونزل، إذا حج(١).

والنزول يطلق ويراد به: الحلول، يقال نزل فلان بالمدينة: حلّ بها، وبالقوم: حلّ بينهم، ويطلق أيضاً: على تحرك الشيء من علوّ إلى سفل، يقال: نزل فلان من الجبل، والنزول جمع نازلة وتطلق على: المصيبة الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس، وأصلها من الفعل (نزل) بمعنى: هبط ووقع(٢).

وقد ورد الفعل "نزل" في القرآن الكريم لعدة معانٍ:

(أ) **الانحطاط من عُلُو:** "النزول في الأصل هو انحطاط من علو"(٣) من ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ ﴾ [النحل: ١٠].

---

(1) ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ٤١٧/٥، ط: دار الفكر العربي، سنة ١٩٧٩م.

(2) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ٥٧/٤.

(3) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، د.ط، ص ٧٩٩.

(ب) **الاستقرار في مكان:** كقوله سبحانه: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

(ج) **الانتقال من موضع إلى آخر:** كقوله تعالى: ﴿... اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ...﴾[البقرة: ٦١].

(د) **الإخراج:** قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٦].

(هـ) **إعطاء النِّعَم:** "... إنزال الله تعالى نعمه أو نقمه على الخلق، وإعطاؤهم إياها، وذلك إما بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن، وإما بإنزال أسبابه والهداية إليه، كإنزال الحديد واللباس، ونحو ذلك"، من الأول قوله سبحانه: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ... ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة: ٤٨]، ومن الثاني قوله سبحانه: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦].

(و) **حلول النقم أو النوازل:** وهي مدار البحث، وذلك في أربعة مواضع من القرآن الكريم:

الأول: قوله سبحانه: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [الصافات: ١٧٦ – ١٧٧]، فقد "مُثِّل العذاب النازل بهم – بعد ما أُنذروه فأنكروه – بجيش أنذرَ بهجومه قومَه بعضُ نُصَّاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره، ولا أخذوا أهبتهم، ولا دبروا أمرهم تدبيراً ينجيهم، حتى أناخ بفنائهم

بغتة، فشنَّ عليهم الغارة وقطع دابرهم، وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا، فسميت الغارة صباحا وإن وقعت في وقت آخر"(١).

الثاني: قوله سبحانه: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ ﴾ [الشعراء:٤]، "أي: لو شئنا لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهراً، ولكنا لا نفعل ذلك؛ لأنا لا نريد من أحد إلا الإيمان الاختياري... وجعل تنزيل الآية من السماء حينئذ أوضح وأشد تخويفا لقلة العهد بأمثالها ولتوقع كل من تحت السماء أن تصيبه"(٢)، والمراد بالآية العلامة التي تدل على تهديدهم بالإهلاك تهديداً محسوساً بأن تظهر لهم بوارق تنذر باقتراب عذاب."(٣)، أو"... معجزة ظاهرة وقدرة باهرة فتصير معارفهم ضرورية..."(٤)، و"دلالة ملجئه إلى الإيمان أو بلية قاسرة عليه"(٥).

الثالث: قوله سبحانه: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ۝٥٩ ﴾ [البقرة: ٥٩]، و"...الرجز هو العذاب، والدليل عليه قوله تعالى: ولما وقع عليهم الرجز أي العقوبة، وكذا قوله تعالى: ﴿ ...لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٣٤ ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، و"...الرجز والرجس معناهما واحد وهو العذاب."(٦).

---

(1) الزمخشري، الكشاف، ٦٨/٤، ط٣.

(2) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ط ٢، ج٦ ص١٣٥.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ج ١٩ ص٩٥.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط٢، ج١٣ ص ٨٩.

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط١، ج٤ ص١٣٣.

(6) الرازي، مفاتيح الغيب، ط٣، ج٣ ص٥٢٥.

الرابع: قوله سبحانه: ﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الحجر: ٩٠]، "أي: وأنذر قريشاً إنذاراً مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين المتحالفين"(١)، "...كما أنزلنا على المقتسمين، أي من العذاب وكفيناك المستهزئين"(٢).

ثانيا: النوازل في القرآن الكريم:

الله سبحانه خالق الكون، المتصرف فيه بإرادته الكونية، ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: ١١٧]، ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، والنوازل وقوعها ليس أمراً عبثياً، وإنما لأسباب اقتضتها الحكمة الإلهية.

ومن أهم النوازل التي وردت في القرآن الكريم ما يلي:

أولا: الزلازل:

ورد المصطلح ومشتقاته في القرآن الكريم في ستة مواضع، ثلاثة مواضع منها تتحدث عن زلزلة الساعة، وأربعة مواضع تتعلق بوصف الحالة النفسية التي وصل إليها المؤمنون في أماكن معينة.

وليست الزلزلة أو الزلزال هو المصطلح الوحيد في القرآن الكريم؛ بل هناك أيضاً مصطلح آخر وهو "الرجفة"، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [المزمل: ١٤]؛ وقد ورد الفعل "رجف" مع بقية مشتقاته في ثمان مواضع من القرآن الكريم، ثلاثة من هذه المواضع تتعلق باليوم الآخر، وأربعة منها متعلقة بالنوازل، وواحدة متعلقة بصفة من صفات المنافقين.

---

(1) المقدسي، فتح الرحمن في تفسير القرآن، ط١،ج٣ ص ٥٦٨.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط٢،ج١٠ ص ٥٨.

كما وردت الزلزلة بمعنى الارتجاج في موضع واحد في سورة الواقعة في قوله سبحانه: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ ﴾ [الواقعة:٤]، ومعنى "إذا رجت، كما قال ابن عباس: زلزلت وحركت بجذب"(١).

وقبل الحديث عن الزلازل، جدير أن نقف بداية مع آيات من كتاب الله (ﷻ)؛ لنفهم طبيعة خلق الأرض، قال سبحانه:﴿ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥﴾ [النحل: ١٥]، وفي سورة لقمان، قال سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠ ﴾ [لقمان: ١٠]، و يُستنتج من الآيات ما يلي:

أولاً: أن الأرض قابلة لأن "تميد" بأهلها، "والميد: الاضطراب يميناً وشمالاً، ماد الشيء يميد ميداً إذا تحرك، ومادت الأغصان تمايلت، وماد الرجل تبختر"(٢).

ثانيا: أن الله (ﷻ) ثبتها بالجبال

وهاتان حقيقتان علميتان ثابتتان، فـ"...وجود الجبال بكتلها الغائرة في الغلاف الصخري للأرض والطافيه في نطاق الضعف الأرضي، يقلل من شده ترنح الأرض في دورانها حول محورها، ويجعل حركتها أكثر انتظاماً وسلاسة، كما تفعل قطع الرصاص التي توضع حول إطار السيارة للتقليل من

(1) ابن حيان، البحر المحيط في التفسير، د.ط، ج١٠ص ٧٨.

(2) القرطبي، تفسير القرطبي، ط٢، ج١٠ص ٩٠.

رجرجتها وانتظام حركتها، وبذلك أصبحت الأرض مؤهله للعمران بمختلف صور الحياه."([1]).

وعندما يحدث الزلزال؛ فإن القرآن الكريم يصف الأرض بأنها ترجف، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ [المزمل: ١٤]، "والرجفة: الزلزلة والزعزعة الشديدة، والكثيب: الرمل المجتمع من كثب الشيء إذا جمعه... أي: كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلاً، أي: نثر وأسيل"([2]).

ويتضح هول هذه الزلزلة التي تتزلزل فيها الأرض والجبال زلزلة عظيمة لا تصمد لعظمتها صم الجبال، بل تتحول إلى كثبان من الرمال تنهال هيلاً، وهذه الزلزلة تكون يوم القيامة، وتستمر في الإرجاف حتى تكون الجبال قاعاً مستوياً، لا عوج فيها ولا أمتى، مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧]، وهذه الزلزلة غير معهودة عند البشر، وهي تفوق كل تصور ولا يصلح معها أي مقياس([3]).

ويذكر الله تعالى في كتابه الكريم، أنه أهلك أمتين بالرجفة، الأولى: أصحاب مدين قوم شعيب، قال سبحانه: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ

(1) النجار، وألقى في الأرض رواسي، موقع: د/زغلول النجار، https://www.znaggar.com/2002/12/9-12-2002.html ، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢٠/١١/٢٤.

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، ج٤ ص ٦٤١.

(3) المصدر السابق نفس الموضع.

ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [العنكبوت: ٣٦ – ٣٧]، وقد قرن بهذه الزلزلة صيحة، فأهلكوا بعذابين في آنٍ واحد، قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [هود: ٩٤]؛ وثاني هاتين الأمتين هي ثمود قوم صالح، قال تعالى:﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٧ – ٧٨].

وقد ابتلي الذين اختارهم موسى (عليه السلام) للميقات المضروب لهم من قبل الله (سبحانه وتعالى) بالرجفة والصاعقة معا فقضتا عليهم، قال تعالى:﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٥] ثم بعثهم الله (سبحانه وتعالى) من بعد موتهم: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: ٥٥ – ٥٦]

والزلازل تثير فزعاً ورعباً شديدين في قلوب الناس، لذلك وصف الله سبحانه ما وقع للمؤمنين من بلاء في غزوة الخندق وحالتهم النفسية التي زاغت فيها الأبصار وبلغت القلوب الحناجر بالزلزال الشديد، فقال سبحانه: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ

ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ [الأحزاب: ١٠-١١].

ثالثا: الخسف:

ورد الفعل "خَسَفَ" في القرآن الكريم في ثمانية مواضع، إحداها يتعلق بخسف القمر، والسبع الباقية تتحدث عن الخسف في الأرض؛ "والخسف: زلزال شديد تنشق به الأرض فتحدث بانشقاقها هوة عظيمة تسقط فيها الديار والناس، ثم تنغلق الأرض على ما دخل فيها، وقد أصاب ذلك أهل بابل، ومكانهم يسمى خسف بابل، وأصاب قوم لوط إذ جعل الله عاليَها سافلها، وبلادهم مخسوفة اليوم في بحيرة لوط من فلسطين وخسف من باب ضرب، ويستعمل قاصرا ومتعديا. يقال: خسفت الأرض، ويقال: خسف الله الأرض"(1) والخسف أمر مفزع وعقاب ماحق هدد الله به العصاة وأهلك به أمما، قال سبحانه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦﴾ [الملك: ١٦]، وقال سبحانه: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٤٥﴾ [النحل: ٤٥].

وأبرز قصة في القرآن عن الخسف هي ما نزل بقارون من قوم موسى، و التي جاءت في آواخر سورة القصص، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ج١٤ ص ١٩٥.

﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص: ٧٩-٨١].

ومن الأمم التي أنزل الله تعالى بها الخسف؛ قرى قوم لوط، بسبب كفرهم وإتيانهم الذكران من العالمين، فخسف الله بهم الأرض فجعل عاليها سافلها، يقول سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾[هود: ٨٢]، "والمعنى أن القرية انقلبت عليهم انقلاب خسف حتى صار عالي البيوت سافلا، أي وسافلها عاليا، وذلك من انقلاب الأرض بهم. وإنما اقتصر على ذكر جعل العالي سافلا لأنه أدخل في الإهانة."(1).

رابعا: البحر وموجات المد البحري (Tsunamis):

خلق الله الأرض، وجعل فيها البحار، وسخرها لينتفع منها الناس، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل: ١٤]، والبحر على عظيم نفعه؛ فإنه لا يخلو من مخاطر تتهدد الإنسان سواء أكان الإنسان راكباً البحر، أو كان ساكناً في منطقة قريبة من شاطئه.

ومن النوازل التي يتعرض لها الإنسان في البحر خطر الغرق على الصعيد الفردي أو على الصعيد الجماعي، وقد تحدث القرآن الكريم عن الخطر الذي يعتري ابن آدم عند تعرضه للعواصف في البحر، فمن شدة الفزع يعود الإنسان إلى فطرته السوية بتعرفه على إلهه الحق وتعلقه به عندما يذهل عن جميع

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ج١٢ ص ١٣٤.

المعتقدات الخاطئة التي يعتقدها ذلك الإنسان البعيد عن الله (ﷻ)، يقول (ﷻ): ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٦ – ٦٧].

ويذكر الله تعالى ما حل بفرعون وجنده من غرق في اليم، فيقول سبحانه مذكراً بني اسرائيل بنعمه، ومنها إغراق آل فرعون: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة:٥٠]

وقصة إغراق فرعون وجنده معجزة إلهية يقصها الله تعالى في القرآن الكريم، وبتتبع الآيات في قصة غرقه، نجد أن انشقاق البحر، ثم إطباقه على فرعون وجنده شبيه إلى حد بعيد بموجات المد البحري (التسونامي)، ونحن هنا نقارن بينها وبين الآيات لكي يتبين لنا وجه الشبه.

تلخص لنا الآيات: ٦١–٦٨ من سورة الشعراء ببلاغتها الحدث، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء: ٦١ – ٦٨].

فهنا الحدث أقرب إلى النوع الأخير من أنواع التسونامي، وهو الناتج عن سقوط بعض حجارة الشاطئ الضخمة على البحر؛ وموسى (عليه السلام) وبني اسرائيل كانوا على الشاطئ، فجعل الله (ﷻ) من عصى موسى ما كان كافياً لشق البحر عند ارتطامها به وإحداث الموجات المدية، فانزاحت المياه، وقد

ذكرنا أن الماء عندما ينزاح تظهر اليابسة ويدوم ذلك أحيانا ما يقرب ٤٥ دقيقة، وهو وقت كافٍ لعبور بني اسرائيل البحر الى الضفة الثانية؛ وذكر الله سبحانه أن كل فِرق من المياه المنزاحة اشبه بالطود العظيم، "والطود الجبل المتطاول أي المرتفع في السماء"(١)، وهذا ما ذُكر عن ارتفاعات هذه الموجات عند الشاطئ فقد شُبِّهت بحائط ارتفاعه عشرات الأمتار، وتعبير القرآن أبلغ لأن الموجة لا تكون إلا محدبة مثل ما أن الجبل محدب، وبما أن هذا الانزياح مقدر بوقت، فقد دخل فرعون وجنده إلى البحر عند بدأ ارتداد هذه الموجات، فأطبقت عليهم لما توسطوه، فماتوا غرقا.

خامسا: البراكين (volcanos):

البركان ويجمع على براكين كلمة غير عربية استخدمت في العصر الحديث، لذلك نجد خلو القواميس العربية القديمة من هذه الكلمة، كما إنها لم ترد في القرآن الكريم، وقد أشار البعض إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة: ١-٢]، إلى أن إخراج الأرض أثقالها بعد الزلزلة فيه معنى البركان، وأن أثقالها هي ما في باطنها من معادن ثقيلة التي يقذفها البركان إلى خارج باطن الأرض(٢)؛ ويذكر المفسرون في سياق تفسير هذه الآية حديث عن الرسول (ﷺ) قريب من هذا التفسير، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ):" **تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا، أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ:**

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ط٣، ج٢٤ ص ٥٠٧.

(2) حشاد، الزلازل والبراكين رؤية إيمانية، موقع رابطة العالم الإسلامي: https://www.eajaz.org .

فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا"(1).

وتفسير كلمة "تقيء" بالبركان في الحديث أمر ممكن إلى حد بعيد، أما في القرآن الكريم فالناظر المتأمل في السورة والحديث، يجد أن سياق السورة هو أن الزلزلة هي زلزلة يوم القيامة الأخيرة، بينما الحدث المذكور في الحديث يبعد عن يوم القيامة بكثير، فترتيب أحداثه تكون كالآتي:

تخرج الأرض كنوزها ثم يقتتل الناس عليه وبعد فترة يمر المار عليه فيقول ما قاله، ثم أن الناس يدعون كل هذه الكنوز ولا يأخذون منها شيئاً، وليس أمر القيامة كذلك فليس ثمة إمهال لكي يقتتل الناس على ما تقذفه الأرض.

ويذهب أحد العلماء المختصين بعلم طبقات الأرض بأن في قولـــــه تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾ [النازعات: ٣٠ – ٣١]، أن الآيتين فيهما " وصف بناء كل من : الغلاف الصخري، و المائي، و الغازي للأرض عن طريق ثورة البراكين بعملية سماها ربنا –تبارك وتعالى– باسم عملية "الدحو"، و (الدحو) كلمة عربية فصحى معناها المد والبسط والإلقاء، وهي تصف ثورة البركان في إيجاز وشمول معجزين؛ وعلوم الأرض تبنت ذلك مؤخرا."(2).

والرأيان في تفسير الآيتين، أرى أن احتمالهما لمعنى البركان بعيد، حيث اعتمدا على كلمتين هما: كلمة" أثقالها" في سورة الزلزلة، وكلمة "دحاها" في سورة النازعات، أما في سورة الزلزلة فإنها وردت في سياق اليوم الآخر، حيث

(1) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، حديث رقم: ١٠١٣، د.ط، ج٢ ص ٧٠١.

(2) النجار، من التفسير العلمي للقرآن الكريم (الجزء الثلاثون)، د.ط، ص ٤٧.

تتزلزل الأرض، والسلف يفسرون الأثقال بما في باطن الأرض من جثث الموتى، " قال ابن عباس: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أي: تحركت من أسفلها. ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ يعني: ألقت ما فيها من الموتى. قاله غير واحد من السلف."(1)، وهذا التفسير تؤيده الآيات التي تفيد خروج الناس من قبورهم في اليوم الآخر من ذلك قوله سبحانه:

﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق: ٤١ – ٤٤]، وقوله سبحانه: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الروم: ١٩]، وقوله سبحانه: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المعارج: ٤٣].

وكما ذكرت أن الآيات تتحدث عن اليوم الآخر، ولا علاقة لها بالأحداث الجيولوجية التي حدثت قبل هذا اليوم، وأما كلمة "دحاها" فهي من الفعل دحا الذي مصدره "دحو" فمعناه في القواميس المعتبرة "البسط"(2)، وذكر من معاني الدحو:"...دحا الحجر بيده: أي رمى به ودفعه، والدحو بالحجارة: المراماة بها والمسابقة، كالمداحاة."(3)، ولعله أخذ الإلقاء من هذا المعنى؛ وعموماً فإنه من غير الممكن تفسير دحاها بمعنى الإلقاء أو الرمي كرمي الحجارة هنا، ذلك لأن

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط٢، ج٨ ص٤٦٠.

(2) انظر مادة (دحو): الفراهيدي، كتاب العين، د.ط، ج٣،ص٢٣٠؛ ابن فارس، مجمل اللغة، ط٢، ص ٣٤٨.

(3) الزبيدي، تاج العروس، مادة: دحو، د.ط، ج٣٨ ص٣٨.

الأرض ستكون مفعول ولفظ الجلالة فاعل، و المعنى سيكون والأرض بعد ذلك ألقاها الله تعالى أو رماها، وذلك بعيد عن معنى وصف ثورة البركان.

سادسا: الفيضانات:

الماء من النّعم التي أنعم الله بها على الإنسان، وجعل منها كل شيء حي، قال سبحانه:﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، إلا أنه أيضا سببا للنوازل، فزيادته فيضان ونقصه جدب.

ولعل أعظم فيضان عرفته البشرية هو الفيضان الذي أهلك الله به قوم نوح (عليه السلام)، قال سبحانه:﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة: ١١]، وكان فيضانا تظافرت على إحداثه عوامل غير معهوده في الفيضانات المعروفة لبني آدم، فقد تدفق الماء من كل ناحية، فالسماء كانت تنسكب بماء منهمر، والأرض تتفجر عيوناً من نواحي الأرض المختلفة حتى خرجت من تنانير الخبازين، وربى الماء وطغى واصبحت له أمواج عظيمة متلاطمة كالجبال، ويحدثنا القرآن عن هذا المنظر المخيف الهائل بقوله (سبحانه وتعالى):﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾ [القمر: ١١-١٢]، وقوله سبحانه:﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [هود: ٤٢ – ٤٤]،

ولم ينجو من هذه النازلة العظيمة إلا نوح (عليه السلام) وقليل ممن آمن بما جاء به، وأما قوم نوح فقد هلكوا في هذا الطوفان العظيم.

وتتحدث الآيات الصريحة أن الطوفان قد أهلك قوم نوح الذين كذبوه، وقد استدل المفسرون وعلماء الأمة ببعض الآيات التي تبين أن الهلاك قد عم كل البشرية، منها قوله سبحانه:﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة:١١]، فالضمير في حملناكم عائد على المخاطبين،" فخاطب الذين نزل فيهم القرآن، وإنما حمل أجدادهم نوحا وولده، لأن الذين خوطبوا بذلك ولد الذين حملوا في الجارية، فكان حمل الذين حملوا فيها من الأجداد حملا لذريتهم..."(1)؛ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الصافات: ٧٥ –٧٧]، ففسروا قوله سبحانه (هُمُ ٱلْبَاقِينَ) "هم الذين بقوا وحدهم وقد فنى غيرهم، فقد روى أنه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده؛ أو هم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة. قال قتادة: الناس كلهم من ذرية نوح."(2)، ومنها قوله سبحانه:﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الشعراء: ١١٩–١٢٠]؛ وهذه الأدلة تفيد بما لا يدع الشك أن البشرية قد فنت بسبب هذا الطوفان، وما ذهب إليه البعض بأن الطوفان لم يعم إلا قوم نوح فقط وأن هناك أقوام لم تطلهم هذه النازلة العظيمة وظلوا أحياء بعده فهو رأي يفتقر إلى الدليل، وليس له من القوة ما يدفع بها ما احتج به علماء الأمة ومفسريها على أنه لم ينجو إلا نوح ومن

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط١، ج ٢٣ص ٥٧٨.

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، ج٤ ص ٤٨.

معه؛ والذرية الحالية إنما هي من سلالة نوح (عليه السلام) فقط والذي سمي بأبي البشر الثاني([1]).

وابتلى الله سبحانه فرعون وآله بنوازل عدة كي يؤمنوا بما جاءهم به موسى من الحق فأبوا واستكبروا، وأول هذه النوازل الفيضان، قال سبحانه: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، و"الطُّوفانَ ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل. قيل: طغى الماء فوق حروثهم، وذلك أنهم مُطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة، لا يرون شمساً ولا قمراً، ولا يقدر أحدهم أن يخرج من داره. وقيل أرسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون..."([2]).

ومن الممالك التي حولها الفيضان إلى خراب ولم تعد لها قائمة مملكة سبأ، وقد قصها الله (سبحانه وتعالى) علينا في كتابه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَـٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَـٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [سبأ: ١٥-١٩].

---

(1) انظر فتوى الشيخ محمد عبده التي ناقش فيها هذه المسألة والتي أوردها تلميذه محمد رشيد رضا في تفسيره المنار، د.ط، ج١٢ص ٨٩.

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، ج ٢ص ١٤٦-١٤٧.

فلما طغوا "...بكفرهم بالله وبنعمته، فعاقبهم الله تعالى بهذه النعمة، التي أطغتهم، فأبادها عليهم، فأرسل عليها سيل العرم. أي: السيل المتوعر، الذي خرب سدهم، وأتلف جناتهم، وخرب بساتينهم، فتبدلت تلك الجنات ذات الحدائق المعجبة، والأشجار المثمرة، وصار بدلها أشجار لا نفع فيها، ولهذا قال: "وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ" أي: شيء قليل من الأكل الذي لا يقع منهم موقعا "خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ" وهذا كله شجر معروف، وهذا من جنس عملهم."(1).

سادسا: الجدب:

لعل أوضح صورة عن الجدب هي تلك القصة التي قصها علينا القرآن الكريم عن الجدب الذي أصاب مصر في عهد نبي الله يوسف (عليه السلام)، والذي دام سبع سنين؛ وابتدأت برؤيا لملك مصر آنذاك، والتي فسرها يوسف (عليه السلام) بما آتاه الله من علم تأويل الرؤيا بالقحط سبع سنين ثم يزول وتأتي بعده سنة خصبة؛ وقد تجاوزت مصر تلك المجاعة بإدارة يوسف (عليه السلام) لهذه الأزمة الماحقة والمجاعة المحققة؛ قال تعالى:﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف: ٤٦ – ٤٩].

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، ص ٦٧٧.

وعلى المستوى الفردي يقص الله علينا في سورة الكهف النازلة التي حلت بجنتي صاحب الجنتين، قال (ﷻ): ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الكهف: ٣٩ – ٤٢]، ومعنى "حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ" قال ابن عباس، والضحاك، وقتادة، ومالك عن الزهري: أي عذابا من السماء، والظاهر أنه مطر عظيم مزعج، يقلع زرعها وأشجارها؛ ولهذا قال: "فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا" أي: بلقعاً تراباً أملس، لا يثبت فيه قدم، وقال ابن عباس: كالجرز الذي لا ينبت شيئا، وقوله: "أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا" أي: غائراً في الأرض، وهو ضد النابع الذي يطلب وجه الأرض..."(1)، ولم يذكر لنا القرآن بأي العقوبتين التي دعا بهما الرجل المؤمن كان العقاب: أبالحسبان من السماء، أم بغور الماء في الأرض، أو بكلتا العقوبتين، ولكن النص القرآني يفيدنا على أن الأرض أصبحت قاحلة وغير صالحة للزراعة.

سابعا: الصواعق:

الصاعقة تأتي على المعاني التالية في القرآن الكريم:

١- الموت، كقوله: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر: ٦٨]

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط٢، ج٥ ص ١٥٩.

وقوله سبحانه: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ...﴾ [النساء: ١٥٣]

٢- العذاب، كقوله سبحانه: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [فصلت: ١٣].

٣- والنار، كقوله سبحانه: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرعد:١٣]. وما ذكره فهو أشياء حاصلة من الصاعقة، فإن الصاعقة هي الصوت الشديد من الجو، ثم يكون منها نار فقط، أو عذاب، أو موت، وهي في ذاتها شيء واحد.([1])

وذكر الله (ﷻ) الصواعق، وأنها آية من آياته يصيب بها من يشاء ويصرفها عن من يشاء، قال سبحانه: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرعد:١٣]؛ ولعظيم وقع الصاعقة على النفوس فقد أمر الله سبحانه نبيه (ﷺ) أن ينذر قريشا بها إن هم تولوا عن طاعته كما أهلك أمتين من قبل بهما، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: ١٣]، أي "**فَإِنْ أَعْرَضُوا۟**" عن الإيمان بعد هذا البيان "**فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ**" خوفتكم "**صَٰعِقَةً**" عذاباً شديد الوقع كأنه صاعقة، وأصلها رعد معه نار "**مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**"([2]).

(1) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط١، ٤٨٤ (بتصرف يسير).

(2) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ط١، ج٣ ص٢٣٠.

ومن نوازل الصواعق ما قصه الله علينا من إهلاك جنة أصحاب الجنة الذين تقاسموا على منع المساكين والفقراء حقهم من الصدقة، قال سبحانه: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القلم: ١٧ – ٢٠]، و "طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ" أي عذاب من ربك، والطائف لا يكون إلا ليلا، أي طرقها طارق من عذاب الله، قال الكلبي: أرسل الله عليها نارا من السماء فاحترقت وهم نائمون فأصبحت الجنة كالصريم."(1)، "...قال ابن عباس: أي كالليل الأسود. وقال الثوري، والسدي: مثل الزرع إذا حصد، أي هشيما يبسا..."(2)، فالطائف الذي أصابها فاحترقت حتى أصبحت سوداء محتملٌ أن يكون صاعقة أحرقتها، أو أن يكون إعصارا فيه نار.

وأعظم صاعقة على الإطلاق هي صاعقة النفخ في الصور التي لا يصعق فيها البشر فقط وإنما كل المخلوقات من جن وانس وطير وحيوان، وجميع المخلوقات في السماوات السبع، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر: ٦٨.]

ثامنا: الرياح والأعاصير:

الرياح جمع ريح "ياؤها واو صيرت ياء لانكسار ما قبلها، وتصغيرها: رويحة، وجمعها: رياح وأرواح."(3)، و"الريح: نسيم الهواء، وكذالك نسيم كل

(1) الرازي، مفاتيح الغيب،ط٣، ج٣٠ ص٦٠٨.

(2) تفسير القرآن العظيم، ط٢، ج٨ ص١٩٦.

(3) الفراهيدي، كتاب العين، د.ط، مادة: روح، ج٣ ص٢٩٢.

شيء، وهي مؤنثة"(1)، والريح يعرف حالها بما يضاف إليها، مثل: ريح طيبة وريح عاصف وريح السموم وريح فيها نار وريح صرصر على ما سيأتي، أما إن كانت مجردة فهي نسيم الهواء كما ذُكر آنفا.

والريح من نِعم الله (ﷻ) على البشرية، فهي رحمة من الله وبشرى، وفيها طاقة التحريك، فبها تتحرك المراكب الشراعية والطواحين وتولد بها الكهرباء في العصر الحديث، قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الروم: ٤٦]، والرياح يزجي بها الله (ﷻ) السحاب، فيساق بها الى الأرض التي يقدر الله أن تسقى به: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ [فاطر: ٩]، والرياح لواقح للنبات: قال سبحانه: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحجر: ٢٢].

والرياح كما إنها من نِعم الله فإن الله (ﷻ) جعلها كذلك من النوازل والنِّقم، فأهلك بها أمما، وحول بها بيوتا ومزارع قائمة على سوقها إلى رِمَم، فمن هذه الأمم عاد، قال سبحانه: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [فصلت: ١٥ – ١] و"رِيحًا صَرْصَرًا" باردة تهلك بشدة بردها، من الصر وهو البرد الذي يُصر أي يجمع، أو شديدة

(1) الزبيدي، تاج العروس، د.ط، مادة: روح، ج٦ ص ٤٠٩.

الصوت في هبوبها من الصرير؛ "فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ" جمع نحسة من نحس نحساً نقيض سعد سعداً، ..."(١)، ووصف الله (ﷻ) هذه الريح في سورة الذاريات بأنها عقيم، قال سبحانه: ﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ٤١﴾ [الذاريات: ٤١]، و "... سماها عقيماً لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم، أو لأنها لم تتضمن منفعة، وهي الدبور أو الجنوب أو النكباء."(٢).

ومن النوازل التي أصابت قريشاً في غزوة الخندق، وكانت نصراً للمؤمنين ما امتن الله به من إرسال الريح على الأحزاب من الكفار في غزوة الخندق، فقد "أرسل الله (ﷻ)، على الأحزاب ريحاً شديدة الهبوب قوية، حتى لم تبق لهم خيمة ولا شيء ولا توقد لهم نار، ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين"(٣)، قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١ ﴾ [الأحزاب: ٩ – ١١].

ويحدثنا القرآن الكريم عن نوع من الرياح هي الرياح القاصفة، قال سبحانه: ﴿ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ٦٨ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ٦٩﴾ [الإسراء: ٦٨ – ٦٩]

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط١، ج٥ ص٦٩.

(2) المصدر السابق، ج٥ ص١٥٠.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط٢، ج٦ ص ٣٨٤.

"{ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ} أي: يقصف الصواري ويغرق المراكب. قال ابن عباس وغيره: القاصف: ريح البحار التي تكسر المراكب وتغرقها"(1).

ومن الرياح الشديدة التدمير الأعاصير، وذُكر الإعصار في القرآن الكريم مرة واحدة، وهو من النوع المصحوب بنار، وهذا من الإعجازات العلمية في القرآن الكريم ولم يعرف هذا النوع من الأعاصير إلا في المائة العام الأخيرة كما ذكرت في الفصل الأول، قال تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

تاسعا: الجوائح الحشرية:

الحشرات على كثرتها وتعددها منها المفيد للإنسان كالنحل الذي يقوم بإنتاج العسل وتلقيح زهور الثمار وكدودة القز التي تقوم بإنتاج الحرير؛ ومنها ما هو ضار ويلحق بالإنسان والنبات والحيوان الأذى والضرر كالبعوض والذباب والجراد؛ والله جعل هذه الحشرات في الأصل لعبادته وإظهار قدرته، كما أنه جعل في بعضها ضرا يقتضي الصبر ونفعا يقتضي الشكر، وبعضها ضررها أذى خفيف يُطاق، وبعضها ضررها جسيم يعد من البلايا والنوازل؛ وأذكر هنا بعض النوازل التي تسببت فيها الحشرات وذكرت في القرآن الكريم.

قال سبحانه: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [الأعراف:١٣٣]، في

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط٢، ج٥ ص٩٦-٩٧.

هذه الآية ذكر الله (ﷻ) أصناف النوازل التي نزلت على آل فرعون والتي منها حشرتان هما الجراد والقُمّل.

أما الجراد فهو حشرة معروفة، وهي حشرة ضارة إذا حلت بزرع لا تتركه حتى تأتي عليه فلا يسلم منها شيء، وقد تحدث هذه الحشرة المجاعات نظرا لنقص الغذاء الذي تأكله.

وفي شأن بني إسرائيل ورد عن "... ابن عباس (ﷺ) ... فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وورق الشجر، وأكل الأبواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والأمتعة، وأكل مسامير الحديد التي في الأبواب وغيرها؛ وابتلي الجراد بالجوع فكان لا يشبع؛ وامتلأت دور القبط منه ولم يصب بني إسرائيل من ذلك شيء، فعجوا وضجوا وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا هذا الرجز لنؤمنن لك، وأعطوه عهد الله وميثاقه بذلك، فدعا موسى ربه (ﷻ) فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت"(١).

والحشرة الثانية التي أنزلها الله (ﷻ) على آل فرعون ابتلاء القُمَّل، "قال ابن عباس: القُمَّل السوس الذي في الحنطة. وقال ابن زيد: البراغيث. وقال الحسن: دواب سود صغار. وقال أبو عبيدة: الحمنان، وهو ضرب من القراد، واحدها حمنانة. فأكلت دوابهم وزروعهم، ولزمت جلودهم كأنها الجدري عليهم..."(٢)، "والظاهر أنه القمل المعروف"(٣).

(1) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ط١، ج٢ ص٢٤٠.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط٢، ج٧ ص٧٢.

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، ص٣٠١.

والقمل مما يصيب الناس فيتأذون به وخصوصا في شعر الرأس، قال سبحانه: ﴿ ... فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ... ﴿١٩٦﴾ ﴾ البقرة:١٩٦، فـ" عن عبد الله بن معقل قال: جلست إلى كعب بن عجرة (ﷺ) فسألته عن الفدية فقال نزلت في خاصة وهي لكم عامة؛ حملت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم والقمل يتناثر على وجهي، فقال: ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى –أو ما كنت أرى الجهد بلغ بك ما أرى– تجد شاة؟ فقلت: لا. فقال: فصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع."(١).

وفي قوله سبحانه:﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [الأعراف:١٣٣]، أيضا نازلتين من النوازل على آل فرعون وهما: الضفادع والدم، وهما أمران غير معهودين في الابتلاء عند البشر، وهذا من عجائب قدرة الله (ﷻ)، "فأرسل الله عليهم الضَّفادع تدخل في طعامهم وشرابهم، فعاهدوا موسى أن يؤمنوا؛ فكشف عنهم فعادوا لكفرهم، فأرسل الله عليهم الدَّم، فسال النِّيل عليهم دماً وصارت مياههم كلُّها دماً"(٢).

(1) أخرجه البخاري (واللفظ له) :كتاب الحج ، باب الإطعام في الفدية نصف صاع، حديث رقم: ١٧١٦، ط١، ج٣ص١٠ ؛ ومسلم من طريق عبدالرحمن بن ابي ليلى، كتاب: الحج، باب: جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى ووجوب الفدية لحلقه، وبيان قدرها، حديث رقم:١٢٠١، د.ط، ج٢ ص٥٨٩.

(2) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١، ص١٥٦.

المبحث الثاني

بواعث النوازل في القرآن الكريم

إن الله سبحانه رحيم بعباده، يريد بهم الخير ولا يريد بهم الشر، فعبادته والاستقامة على أمره لا تزيد في ملكه شيئا، ومعصيته وكفرانه لا تنقص من ملكه شيئا، فكل الأشياء منقادة لطاعته وعبادته، وإن من شيء إلا يسبح بحمده، عدا الثقلين الإنس والجن فجعل لهما حرية الاختيار في تصرفاتهما ولم يجبرهما عليه، فلهما طاعته إن أرادوا ذلك، ووعدهم بالمثوبة والجنان، ولهم معصيته إن شاءوا وتوعدهم بالعقوبة والنيران، ومن رحمته أن أرسل إليهم الرسل تترا، تبين لهم دروب الهداية وتحثهم عليها، وتنذرهم دروب الغواية وتحذرهم منها.

ومن حكمة الله سبحانه أن يبتلي عبادة بالسراء ليشكروا والضراء ليصبروا وهم مثابون على ذلك، ولا يكون ذلك إلا لحكمة يريدها الله (ﷻ)، ومن الضراء التي يبتلى بها العباد النوازل، ولهذه النوازل بواعث، وقد تكون هذه البواعث من العباد أو من رب العباد، على النحو الذي سنعدد به هذه البواعث تاليا.

البواعث لغة واصطلاحا: البَعث في اللغة "الإثارة، يقال (منه): بعثت الناقة: أثرتها"(١) و" بعثه يبعثه بعثا: أرسله وحده، وبعث به: أرسله مع غيره. وابتعثه أيضا أي أرسله فانبعث.."(٢).

إذا البعث في اللغة: هو الإثارة والإرسال، واسم المفعول منه مبعوث، وصيغ منه اسم الفاعل باعث؛ واستخدم بكثرة حديثاً بمعنى: دافع أو سبب أو

(1) ابن فارس، مجمل اللغة، ط٢، ص ١٢٩.

(2) ابن منظور، لسان العرب، د.ط، ج٢ ص١١٦ .

داع([1])؛ وكاصطلاح يمكن القول: بأن بواعث النوازل هي أسبابها الداعية لحدوثها، ومن أهمها ما يلي:

أولا: الابتلاء:

الابتلاء لغة: "بلوت الرجل بلوا وبلاء وابتليته: اختبرته، وبلاه يبلوه بلوا إذا جربه واختبره"([2])، والابتلاء "الاختبار يكون بالخير والشر، يقال: أبلاه الله بلاء حسناً."([3]).

والله (ﷻ) يبتلي العباد بما شاء ليعلم المطيع من العاصي، قال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦] أي"... ولنختبرنكم يا أمة محمد، واللام: لجواب القسم المحذوف، تقديره: والله لنبلونكم، والابتلاء من الله لإظهار المطيع من العاصي، لا ليعلم شيئا لم يكن عالما به، بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ، قال ابن عباس: يعني خوف العدو، والجوع، يعني: القحط، ونقص من الأموال: بالخسران والهلاك، والأنفس، يعني: بالقتل والموت، وقيل: بالمرض والشيب، والثمرات، يعني: بالجوائح في الثمار"([4]).

"وَلَنَبْلُوَنَّكُم" ولنصيبنكم بذلك إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم، هل تصبرون وتثبتون على ما أنتم عليه من الطاعة وتسلمون لأمر اللَّه وحكمه أم

(1) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، ج١ ص ٢٢٢.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة: بلا ، ط٣، ج١٤ ص٨٣.

(3) ابن فارس، مجمل اللغة، مادة: بلو، ط٢، ص ١٣٣.

(4) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط١، ج١ ص ١٨٥.

لا؟ بِشَيْءٍ: بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ المسترجعين عند البلاء؛ لأنّ الاسترجاع تسليم وإذعان"(١)

والابتلاء سنة ماضية في كل حين؛ لتمييز أهل الحق من أهل الباطل، قال سبحانه: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت:١-٣]، وذكر الله (ﷻ) الغاية من هذا الابتلاء، فقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ۝٣١ ﴾[محمد: ٣١].

"يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان به من أصحاب رسول الله (ﷺ) (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ) أيها المؤمنون بالقتل، وجهاد أعداء الله (حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ) يقول: حتى يعلم حزبي وأوليائي أهل الجهاد في الله منكم، وأهل الصبر على قتال أعدائه، فيظهر ذلك لهم، ويعرف ذوو البصائر منكم في دينه من ذوي الشكّ والحيرة فيه، وأهل الإيمان من أهل النفاق، ونبلو أخباركم، فنعرف الصادق منكم من الكاذب..."(٢).

ولقد قصَّ علينا القرآن الكريم نموذجاً من هذا التمايز في قصة طالوت عندما فصل بالجنود، قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، ج ١ص ٢٠٧.

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط١، ج٢٢ ص ١٨٥.

ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

و"لما كان بنو إسرائيل من قبل كارهين لملك طالوت عليهم، ثم أذعنوا من بعد، وكان إذعان الجميع ورضاهم مما لا يمكن العلم به إلا بالاختبار والابتلاء أراد الله أن يبتلي هذا القائد جنده ليعلم المطيع والعاصي والراضي والساخط، فيختار المطيع الذي يرجى بلاؤه في القتال، وثباته في معامع النزال، وينفي من يظهر عصيانه، ويخشى في الوغى خذلانه ... أخبر طالوت جنوده بأن سيمرون على نهر يمتحنهم به بإذن الله، فمن شرب منه فلا يعد من أشياعه المتحدين معه في أمر القتال إلا أن يكون ما يشربه قليلا وهو غرفة تؤخذ باليد، ... ومن لم يطعمه أي يذقه بالمرة فإنه منه...

فالابتلاء سيكون على ثلاث مراتب: مرتبة من يشرب فيروى لا يبالي بالأمر، وحكمه أن يتبرأ منه، ومرتبة من يأخذ بيده غرفة يبل بها ريقه وهو مقبول في الجملة، ومرتبة من لا يذوقه البتة، وهو الولي النصير الذي يوثق باتحاده، ويعول على جهاده، قال تعالى: (فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا) ذلك أن القوم كانوا قد فسد بأسهم وتزلزل إيمانهم، واعتادوا العصيان فسهل عليهم عصيانهم، وشق عليهم مخالفة الشهوة وإن كان فيها هوانهم، ولم يبق فيهم من أهل الصدق في الإيمان والغيرة على الملة والأمة إلا نفر قليل (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾)، والعدد القليل من أهل العزائم يفعل ما لا يفعل الكثير من ذوي المآثم، كما يعلم من قوله تعالى: (إِنْ نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ ...)"([1]).

(1) رضا، تفسير المنار، د.ط، ج٢ ص ٣٨٦.

وكما يكون الابتلاء على المستوى الجماعي؛ فإنه أيضاً يكون على المستوى الفردي، من ذلك ما قصه الله علينا في سورة: القلم (الآيات:١٧-٣٣) من نبأ أصحاب الجنة الذين أقسموا ليصرمنها مصبحين فعاقبهم الله بحرقها، وكذلك في سورة الكهف (الآيات:٣٢-٤٤) في قصة صاحب الجنتين اللتين غار ماؤهما واصبحتا صعيداً زلقاً.

ثانيا: إظهار قدرة الله تعالى:

الله (ﷻ) قادر على كل شيء، إحياء وإماتة وإفناءً وإبقاء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ [يس: ٨٢]، فأظهر عجائب قدرته لخلقه، وما من شيء إلا وفيه مظهر من مظاهر عجائب قدرته سبحانه ولكن الناس بحكم الإلفة لا يلتفتون لكثير من هذه العجائب، فإذا ما خرج شيء عن إلفتهم وعادتهم التفتوا إليه إلتفات المستغرب المتعجب، وينظرون إلى السماء وما فيها من أفلاك ونجوم فلا تكاد تظفر إلا بالقليل ممن وقر في قلبه أنها من عجائب صنع الله وقدرته، والله سبحانه يقول: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر:٥٧].

ومن لطف الله بعباده أنه يريهم آياته ليذكرهم بعظيم قدرته لينيبوا إليه، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [غافر: ١٣]، وقال سبحانه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣]، ومن هذه الآيات النوازل التي تنزل بالناس.

من تلك النوازل ما ضربه الله للناس من إهلاك من قبلهم من الأمم، قال سبحانه: ﴿ ... فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [فاطر: ٤٣ – ٤٤]، "قوله تعالى ذكره: أولم يَسِرْ يا محمد هؤلاء المشركون بالله في الأرض التي أهلكنا أهلها بكفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا فإنهم تجار يسلكون طريق الشأم (فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) من الأمم التي كانوا يمرون بها، ألم نهلكهم ونخرب مساكنهم ونجعلهم مثلا لمن بعدهم؟ فيتعظوا بهم وينزجروا عمَّا هم عليه من عبادة الآلهة بالشرك بالله، ويعلموا أن الذي فعل بأولئك ما فعل (وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) لن يتعذر عليه أن يفعل بهم مثل الذي فعل بأولئك من تعجيل النقمة والعذاب لهم... ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبدة الآلهة المكذبون محمدًا، فيسبقونا هربًا في الأرض إذا نحن أردنا هلاكهم؛ لأن الله لم يكن ليعجزه شيء يريده في السماوات ولا في الأرض، ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض. وقوله: (إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾) يقول تعالى ذكره: إن الله كان عليمًا بخلقه، وما هو كائن، ومن هو المستحق منهم تعجيل العقوبة، ومن هو عن ضلالته منهم راجع إلى الهدى آيب، قديراً على الانتقام ممن شاء منهم، وتوفيق من أراد منهم للإيمان."(1).

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط١، ج٢٠ص ٤٨٥.

ثالثا: الكفر وتكذيب الرسل:

أرسل الله (ﷻ) الرسل إلى الأمم لهدايتهم وانقاذهم من دروب الضلالة والغواية إلى دروب الاستقامة والهداية في أمري الدنيا والآخرة، فمن أجابهم وأكرمهم فقد نجا، ومن جحد ما جاءوا به وعاندهم أُخذ بالعذاب، قال سبحانه: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٨-٤٠]، "... أي وأهلكنا عادا وثمود وقد تبين لكم يا أهل مكة من مساكنهم أي منازلهم بالحجر واليمن وزين لهم الشيطان أعمالهم أي عبادتهم لغير الله فصدهم عن السبيل أي عن سبيل الحق وكانوا مستبصرين أي عقلاء ذوي بصائر. وقيل كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون أنهم على هدى وهم على باطل وضلالة، والمعنى أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين، وقارون وفرعون وهامان، أي أهلكنا هؤلاء ولقد جاءهم موسى بالبينات أي بالدلالات الواضحات، فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين أي فائتين من عذابنا، فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط رموا بالحصباء وهي الحصى الصغار، ومنهم من أخذته الصيحة يعني ثمود، ومنهم من خسفنا به الأرض يعني قارون وأصحابه ومنهم من أغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم أي بالهلاك ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي بالإشراك."([1])

(1) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ط١، ج٣ ص ٣٨٠.

ولكن هل الظلم وهو الإشراك بالله (ﷻ) هو الباعث على العذاب أو أن هناك أمر آخر يستدعي هذا العذاب؟ والظاهر من قوله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود: ١١٧] أن الله لا يهلك القرى بسبب الظلم إذا ما كان أهلها مصلحون؛ وللمفسرين في معنى الآية قولان(١): الأول: استحالة أن يهلك الله القرى ظالما لها حال كون أهلها قوم مصلحون، فالله نزه نفسه عن الظلم؛ والقول الثاني: الظلم الشرك، ومعناه أنه لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون إلى شركهم فسادا آخر؛ ومن المفسرين من انفرد بالرأي الثاني ومنهم البيضاوي حيث قال:" ... وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ" فيما بينهم لا يضمون إلى شركهم فساداً وتباغياً، وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد. وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم."(٢).

وهذا التفسير أقرب إلى الواقع المشهود، فالكفار المشركون في جميع أصقاع العالم يتمتعون بما يتمتع به المسلمون ويألمون كما نألم وليس ثمة عقاب على كفرهم وشركهم الظاهر؛ وإنما وقع العذاب على الأمم السابقة لتكذيبهم الرسل وللإساءة إليهم والاستهزاء بهم ومناصبتهم العداء، كما قال سبحانه: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ

(1) انظر القولان في : الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، ج٢ ص؛ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط١، ج١٥ص٥٣٠؛ النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ط١، ج٢ ص ٩٠.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط١، ج٣ ص١٥٢.

﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾ [غافر: ٥]، وبعض هذه الأمم مع ذلك ساد فيهم فساد بعينه كإتيان قوم لوط الذكران من العالمين، وتطفيف قوم شعيب الكيل وقطعهم الطريق، يُضاف إلى هذه الأسباب دعاء بعض الأنبياء بالهلاك على من دَعَوهم، كدعاء نوح (عليه السلام) على قومه، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦﴾ [نوح: ٢٦]، ودعاء موسى (عليه السلام) على فرعون، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ۝٨٨﴾ [يونس: ٨٨] ويزيد ذلك تأكيدا وجود أقوام لم تهلك على يد أنبيائها مع بقائهم على الشرك، كقوم إبراهيم ويعقوب ويوسف (عليهم السلام).

رابعا: الطغيان:

الطغيان في اللغة من "طغى يطغى طغيانا، وكل متجاوز حده فقد طغى يطغى، طغى السيل إذا جاء بماء كثير يتجاوز حد ما كان يجري عليه، وطغى البحر، إذا هاجت أمواجه. وطغى الدم بالإنسان، إذا تبيغ(١) به. ورجل طاغية، الهاء للمبالغة"(٢) و"جاوز القدر، وارتفع، وغلا في الكفر، وأسرف في المعاصي والظلم..."(٣).

(1) "البيغ: ثؤور الدم وفورته حتى يظهر في العروق، وقد تبيغ به الدم" ، الفراهيدي، كتاب العين، د.ط، ج٤ ص ٤٥٤.

(2) ابن دريد، جمهرة اللغة، ط١، ج٢ ص٩١٩

(3) الفيروزابادي، القاموس المحيط، ط٨، ص ١٣٠٧.

والطغيان من الصفات المذمومة في الإنسان التي ينبغي عليه كبح جماحه، قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦ – ٧]، ورتب عليه العقوبة الآخرية فقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾[النازعات: ٣٧ – ٤١].

والله (ﷻ) أهلك فرعون بسبب طغيانه الذي لم يسبق له مثيل، قال سبحانه آمرا موسى وهارون (عليهما السلام) بالذهاب إلى فرعون: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه: ٤٣ – ٤٤]، ومن مظاهر هذا الطغيان ادعاؤه الألوهية واستكباره في الأرض، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣٨ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ۝٣٩﴾ [القصص: ٣ – ٣٩]، ومنها قتل أبناء بني اسرائيل الذكور ذبحا مع الإبقاء على بناتهم، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٤٩﴾ [البقرة: ٤٩].

ومن الأمم التي أهلكها الله (ﷻ) بسبب طغيانها قوم نوح، قال سبحانه: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢﴾ [النجم: ٥٢].

خامسا: الترف:

الترف في اللغة: "...التنعم، والترفة النعمة، والتتريف حسن الغذاء؛ وصبي مترف إذا كان منعم البدن مدللا والمترف: الذي قد أبطرته النعمة وسعة العيش؛

وأترفته النعمة أي أطغته... ورجل مترف ومترف: موسع عليهـــا، وترف الرجل وأترفه: دلَّله وملكه وقوله تعالى: **إلا قال مترفوها**؛ أي أولو الترفة وأراد رؤساءها وقادة الشر منها"(١)، "وأترفته النعمة: أطغته، أو نعمته"(٢)، ويستفاد مما سبق أن الترف هو سعة العيش المطغية التي تخرج الإنسان من حد الاعتدال الذي يريده الله (ﷻ) إلى الطغيان والبطر والتعالي على الآخرين.

ونجد في القرآن أن المترفين أولي الرئاسة كان لهم دور كبير في الصد عن سبيل الله وتحريض قومهم على البقاء على الكفر وعدم الانصياع لما جاءت به الرسل، قال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وذكر الله (ﷻ) في سورة المؤمنين هؤلاء المترفين، وساق حججهم المتهافتة التي جاءوا بها بقصد صد قومهم عن الحق واتباع الرسل، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٣١ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣٢ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ٣٣ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ٣٥ * هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٣٧ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ٣٨ ﴾ [المؤمنون: ٣١ –٣٨].

(1) ابن منظور، لسان العرب، د.ط، ، ج٩ ص١٧.

(2) الفيروزابادي، القاموس المحيط، ط٤ ص٨٧.

ومن حججهم أيضا اغترارهم بما أُوتوا من مال، قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥ ﴾ [سبأ: ٣٤ – ٣٥].

وكانت عاقبة هؤلاء المترفين و من أغووهم الهلاك والدمار، قال سبحانه: ﴿ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ١١ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ١٢ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ١٣ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ١٤ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ١٥ ﴾[الأنبياء: ١١–١٥].

سادسا: كثرة الذنوب والمعاصي:

الذنوب لغة: جمع ذنب والذنب الإثم والمعصية، ويجمع على ذنوب (١).

والمعاصي لغة: جمع معصية و"العصيان بالكسر: خلاف الطاعة، يقال: عصاه يعصيه عصيا، بالفتح، وعصيانا ومعصية، فهو عاص؛ خرج عن طاعته، وعصي العبد ربه: خالف أمره."(٢)، ويستفاد من هذا أن المعصية هي الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله، والذنب هو ما يترتب على هذه المعصية وكلاهما إثم يعاقب عليه صاحبه.

وأول معصية قصها الله علينا ما كان من أمر أكل آدم وزوجه (عليهما السلام) من الشجرة، وكانت نازلة عظيمة على آدم وزوجه وذريته من بعده حيث أخرجا

(1) انظر: الفراهيدي، كتاب العين، مادة: ذنب، د.ط، ج٨ ص١٩٠ ؛ الزبيدي، تاج العروس، د.ط، مادة: ذنب، ج٢ ص٤.

(2) الزبيدي، تاج العروس، د.ط، مادة: عصي، ج٢ ص ٤.

من الجنة ونزلا الأرض بعد أن تاب الله عليهما، قال سبحانه: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢١ – ١٢٢] .

وبني اسرائيل من الأمم التي لازمتها الذلة والمسكنة وغضب الله عليهم وذلك بسبب عصيانهم واعتداءاتهم المتكررة، فلا يكادون يهنئون في مكان بالأمن إلا ويعودون لسيرتهم الفاسدة، فيعود الله عليهم بالذل والهوان، قال سبحانه: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران: ١١٢].

المبحث الثالث

آثار النوازل في القرآن الكريم

في المبحث الثاني سيكون الحديث عن آثار النوازل في القرآن الكريم؛ فالقرآن الكريم تناول النوازل كما تناول بواعثها التي كانت سبباً في نشوئها، وتحدث عن الآثار المترتبة عليها، وأهم هذه الآثار على هذا النحو:

أولا: الآثار الدينية:

لقد راعى الإسلام الآثار الدينية المترتبة على النوازل، ويمكن تتبع بعض هذه الآثار في النقاط الآتية:

(أ) التخفيف في العبادات:

عند حدوث النوازل؛ فإن الله (ﷻ) خفف عن المسلمين أمور عباداتهم، فمن النوازل فتن المؤمن عن دينه، وقد تتعدى هذه الفتنة عبادات المسلم إلى عقيدته، وقد رخص الله للمؤمن أن ينقذ نفسه و لو بإظهار الكفر، قال سبحانه: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ﴾ [النحل: ١٠٦].

وقد تكون النازلة خوفاً من العدو، وقد رخص الله للمؤمنين أن يقصروا الصلاة، وتسمى هذه الصلاة بصلاة الخوف قال سبحانه:﴿ وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ١٠١ ﴾[النساء: ١٠١]، والصلاة عند تلاحم الصفوف تؤدى بطريقة مخففة قد تصل إلى ركعة واحدة، قال سبحانه:

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةًۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [النساء: ١٠].

(ب) نجاة المؤمنين ودمار الكافرين:

تحدث القرآن الكريم عن نجاة المؤمنين عقب هلاك الكافرين المكذبين بما جاءت به الرسل، قال سبحانه: ﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَاۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦-٩]

ومن هذه الأمم قوم نوح (عليه السلام)، قال سبحانه على لسان نوح (عليه السلام) واستجابة الله لدعائه: ﴿ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[الشعراء: ١١٨-١٢٠]، ومنهم قوم عاد، قال سبحانه: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٢]، وقوم ثمود، وقوم لوط قال سبحانه: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٣ – ٨٤].

وعلى المستوى الفردي يحدثنا القرآن الكريم عن يونس (عليه السلام) عندما خرج من قريته مغاضباً فركب البحر، فابتلي بنازلة عظيمة وهي قذفه في البحر ليلتقمه الحوت، فدعا الله تعالى أن ينجيه، يقول سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ الأنبياء: ٨٧ – ٨٨، فأنجاه الله ثم أعلمنا سبحانه عن منَّة عظيمة في إنجاء المؤمنين: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾، وهذا وعد وبشارة لكل مؤمن وقع في شدة وغم، أن الله تعالى سينجيه منها، ويكشف عنه، ويخفف لإيمانه كما فعل بـــ "يونس (عليه السلام)"(1) فما أعظمها من منة.

(ج) أخذ العبرة:

العبرة: مصدرها عَبَر، "والعبرة الاعتبار بما مضى، وقيل: هو الاسم من الاعتبار."(2)، وعُرِّف الاعتبار بأنه: "هو النظر في الحكم الثابت أنه لأي معنى ثبت، وإلحاق نظيره به وهذا عين القياس."(3)، ومقصدنا بالعبرة هنا هو أخذ العبرة، وذلك بالنظر في من نزلت عليهم النوازل لتجنب السبب المؤدي بهم إلى الهلاك.

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط١، ص ٥٢٩.

(2) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مـــادة: عَبَـــر، د.ط، ج١٢ص٥٠٤؛ ابـــن منظور، لسان العرب، مادة: عَبَر، ط٣، ج٤ ص ٥٣١.

(3) الجرجاني، التعريفات، ط١، ص ٣٠.

ولفْتُ الانتباه الى النظر في العواقب بقصد أخذ العِبَر، منهجٌ قرآني في الدعوة، تحدث عنه القرآن في مواضع عدة، قال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١٠ – ١١١]، وقال سبحانه: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران: ١٣٧].

وقد اتبع هذا الأسلوب الأنبياء (عليهم السلام)، من ذلك ما قاله نبي الله شعيب (عليه السلام) لقومه: ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأعراف: ٨٦]، فنصحهم بالنظر في الأمم التي فسدت وعصت وكيف كانت عاقبتها بأن حل عليها الهلاك وقُطع دابرها فلم تبقَ لها باقية.

وقال الله سبحانه موجهاً كلامه للناس، ومنهم قريش ليتعظوا ويعتبروا بالأمم السابقة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [النحل: ٣٦ –٣٧].

"**يقول تعالى ذكره لمشركي قريش:** إن كنتم أيها الناس غير مصدّقي رسولنا فيما يخبركم به عن هؤلاء الأمم الذين حلّ بهم ما حلّ من بأسنا بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله، فسيروا في الأرض التي كانوا يسكنونها، والبلاد التي كانوا يعمرونها، فانظروا إلى آثار الله فيهم، وآثار سخطه النازل بهم، كيف أعقبهم تكذيبهم رسل الله ما أعقبهم، فإنكم ترون حقيقة ذلك، وتعلمون به صحة الخبر الذي يخبركم به محمد (ﷺ)"(1).

ثانيا: الآثار الاجتماعية:

للنوازل آثار على المجتمع بعد وقوعها؛ بل إن بعض هذه الآثار تحدد مصير المجتمع بقاءً أو فناءً، والقرآن الكريم تحدث عن بعض هذه الآثار، وأهم ما تحدث عنه القرآن الكريم من هذه الآثار ما يلي:

(أ) فناء المجتمع الفاسد وبقاء المجتمع الصالح:

الله (ﷻ) أهلك الأمم لحكمة اقتضت إهلاكهم، وما كان هذا الإهلاك إلا لكفرهم ولفساد السلوك الاجتماعي الذي كانوا يسلكونه، ومن مظاهر هذا السلوك أن هذه الأمم اتخذت المترفين رؤوساً لهم، ينصاعون لأوامرهم، و لا يصدرون إلا عن آرائهم، ولم يتنصلوا عن هذه التبعية حتى وهم يعذبون في النار، وذلك ما أعلمنا به الله (ﷻ) في كتابه: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۝٤٧﴾ [غافر: ٤٧].

"لقد منحهم الله الكرامة كرامة الانسانية وكرامة التبعة الفردية وكرامة الاختيار والحرية، ولكنهم هم تنازلوا عن هذا جميعا، تنازلوا وانساقوا وراء

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط١ ، ج ١٧ ص٢٠١.

الكبراء والطغاة والملأ والحاشية، لم يقولوا لهم: لا؛ بل لم يفكروا أن يقولوها، بل لم يفكروا أن يتدبروا ما يقولونه لهم وما يقودونهم إليه من ضلال... "(1).

ولما رأوا أنهم لا يتحملون عنهم شيئا من التبعات الدنيوية التفتوا لذي العزة والجلال شاكين وداعين: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٧ – ٦٨].

وهنالك مظاهر سلوكية فاسدة لهذه المجتمعات منها: قتل الأطفال الأبرياء، كما فعل فرعون وجنده، وسيادة اللواط في المجتمع، كما كان الحال مع قوم لوط، والتطفيف في الميزان وقطع الطريق كما وقع من قوم شعيب...

(ب) تعاون المجتمعات السوية أثناء النوازل:

إحدى خصائص ابن آدم الاجتماعية السوية؛ هو السعي لمساعدة الناس بعضهم بعضاً، وتظهر هذه الخاصية في ساعات شدة النوازل كالزلازل والحرائق ... ونحوهما، وهذا ما أمر الله به سبحانه عباده في كتابه وحثهم عليه، قال سبحانه: ﴿ ... وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢].

"أما الأمر بالتعاون على البر والتقوى فهو من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن؛ لأنه يوجب على الناس إيجابا دينيا أن يعين بعضهم بعضا على كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفرادا وأقواما في دينهم ودنياهم، وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم، فجمع بذلك بين التحلية والتخلية، ولكنه قدم التحلية بالبر، وأكد هذا الأمر بالنهي عن ضده؛ وهو التعاون على الإثم بالمعاصي وكل ما يعوق عن البر والخير، وعلى

(1) قطب، في ظلال القرآن، ط١٢، ج٥ ص ٣٠٨٤.

العدوان الذي يغري الناس بعضهم ببعض، ويجعلهم أعداء متباغضين يتربص بعضهم الدوائر ببعض."([1]).

وفي سورة الكهف يقص الله علينا قصة ذي القرنين عند بلوغه بين السدين، حيث خرج إليه أقوام يشتكون البلوى النازلة بهم من غزو يأجوج ومأجوج وفسادهم الذي يلحقونه بهم، فما كان من ذي القرنين إلا إن استجاب لهم وعاونهم على صد هجمات هاتين القبيلتين، قال سبحانه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦ ﴾ [الكهف: ٩٣ – ٩٦].

ومن أخلاقيات تعاون المجتمعات الصالحة عند نوازل البلاء هو التعزية و التصبير، نلمح هذا في توصية موسى (عليه السلام) لقومه عند عودة البلاء عليهم بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم من قِبل فرعون وزبانيته، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨ ﴾ [الأعراف: ١٢٧ – ١٢٨].

(1) رضا، تفسير المنار، د.ط، ج٦ ص١٠٨.

(ج) الاتعاظ بالنوازل:

الله (ﷻ) جعل في الكون آيات كثيرة دالة على وجوده وقدرته، وبحكم الإلفة فإن هذه الآيات في نفوس كثير من الناس لا تكاد تَظفر لها على أثر، إلا قلة قليلة ممن تَفكر في هذه الآيات وتتدبرها؛ وتتسع رحمة الله بعباده ليرسل عليهم من الآيات ما لم يألفوه منها كالزلازل والبراكين والصواعق فتثير في أنفسهم الفزع والتفكر في هذه الآيات، وليعلموا أن لها إلها قوياً مدبراً، قال سبحانه: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩ ﴾ [الإسراء: ٥٨]، وقال سبحانه ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢ ﴾[الرعد: ١٢]

ومن النماذج التي قصها الله علينا في الاتعاظ بنوازل العذاب قصة قارون الذي بلغت مفاتيح خزائنه ما تنوء به قوة جمع من الرجال الشداد في حال حملها؛ وقد تمنى جمع من الناس أن يؤتوا مثل ما أوتي، فلما خسف الله (ﷻ) به وبداره وأمواله، تغير منطق الناس، وانقلب من طمع إلى فزع مع اتعاظ، قال سبحانه: ﴿ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢ ﴾ [القصص: ٨٢].

ثالثا: الآثار البيئية:

الإنسان ابن بيئته ففيها يؤثر وبها يتأثر، فالبيئة تكون بعيدة عن الملوثات والخلل كلما كانت الأيدي البشرية بعيدة عنها، ونتيجة للأنشطة اليومية والصناعية يؤثر الإنسان في البيئة سلبا إلا إن يكون مراعيا لحق الله فيها، فمن الناس من دَأبه الإفساد في الأرض ربما لمصالحه الشخصية أو لمصالح غيره،

أولئك الذين صدق فيهم قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٠٥]، وما أصدق هذه الآية على أولئك الذين يجتثون الغابات ويلوثون البيئة بمختلف الملوثات التي تورث الإنسان العلل، وأولئك الذين يصيدون الحيوانات بشكل جائر للاستفادة من أجزاء منها، حتى كادت أصنافا من الحيوانات أن تنقرض، بحق إنهم يهلكون الحرث والنسل.

وآية أخرى تحدثنا عن ظهور الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس من أعمال منافية للشرع أدت إلى ظهور هذا الفساد، قال (ﷻ): ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١].

"أي عم العالم ظهور الخلل والانحراف، وكثرة المضار وقلة المنافع ونقص الزروع والأنفس والثمرات، وقلة المطر وكثرة الجدب والقحط والتصحر، بسبب شؤم معاصي الناس وذنوبهم، من الكفر والظلم، وانتهاك الحرمات، ومعاداة الدين الحق، وعدم مراقبة الله (ﷻ) في السر والعلن. والاعتداء على الحقوق وأكل مال الغير بغير حق، ليذيقهم الله جزاء بعض عملهم وسوء صنيعهم من المعاصي والآثام، وحينئذ ربما يرجعون عن غيهم ومعاصيهم"(1).

وهؤلاء الناس المفسدون في الأرض لا تكاد تنفع معهم صيحات المصلحين، فمصالحهم ومآربهم أكبر من ذلك، بل يحاجون ويجادلون بأن ما يقومون به هو من باب الإصلاح لا الإفساد، يقول الله سبحانه عن مثل هؤلاء: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة: ١١ – ١٢].

(1) الزحيلي، التفسير المنير، ط٢، ج٢١ ص ٩٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبنوره تشرق الأرض والسماوات، فقد وصل الباحث إلى غايته فيما بحث ودرس، عن مسألة قرآنية من المسائل المهمة التي تبرز عظمة القرآن في التناول والعرض، وقراءاة المستقبل، والإرشاد السليم الذي يحفظ على الإنسان دينه وعقيدته، فالنوازل الطبيعية سنة من سنن الله في الكون، تُرى ليل نهار، وتصيب البشرية بخيرها وشرها، فلكل عصر أدواته ووسائله، ولكل أهل زمان عاداتهم وأعرافهم الخاصة، وقد تميز هذا العصر عن العصور السابقة بالتطور المادي الكبير الذي شمل كافة نواحي الحياة، وبخاصة في مجال العلوم والتكنولوجيا، وقد اهتم القرآن الكريم بذكر النوازل، من حيث بيان بواعثها وآثارها، مما تناوله القرآن الكريم بالوصف والبيان، وتشمل النوازل الزلازل والبراكين والأمواج العاتية (الطوفان) والجدب، وبيان وصف القرآن الكريم لهذه الظواهر، واستنباط بواعثها وأهدافها، فمن أهم بواعث النوازل الطبيعية في القرآن الكريم: الابتلاء، وإظهار قدرة الله تعالى، فيمن كفر وكذب الرسل، وفي ذات الوقت تكون عقاباً للطغيان، والترف، وكثرة الذنوب والمعاصي، وعليه فيترتب على هذه النوازلالكثير من الآثار الدينية والاجتماعية والبيئية.

النتائج المترتبة على البحث تكمن في النقاط الآتية:

١- **أهم النوازل التي تناولها القرآن الكريم بالوصف والبيان:** الزلازل- الخسف- البحر وموجات المد البحري- البراكين- الفيضانات- الجدب- الصواعق- الرياح والأعاصير- الجوائح الحشرية.

٢- **من أهم بواعث النوازل الطبيعية في القرآن الكريم:** الابتلاء، وإظهار قدرة الله تعالى، وعقاباً على الكفر وتكذيب الرسل، وعقاباً للطغيان، والترف، وكثرة الذنوب والمعاصي.

٣- **من الآثار الدينية لهذه النوازل:** التخفيف في العبادات- ونجاة المؤمنين ودمار الكافرين- وأخذ العبرة.

٤- **من الآثار الاجتماعية لهذه النوازل:** فناء المجتمع الفاسد وبقاء المجتمع الصالح- وتعاون المجتمعات السوية أثناء النوازل- والاتعاظ بالنوازل.

٥- **من الآثار البيئية لهذه النوازل:** الإفساد في الأرض والتلوث والتغيير المناخي والجغرافي.

المصادر والمراجع

١. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، د.ط، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

٢. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

٣. ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٤. ابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، مجمل اللغة، دار النشر:مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية- ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٥. ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تفسير ابن كثير، ط ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٦. ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، د.ط، الناشر: دار صادر – بيروت.

٧. الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، د.ط، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٢هـ.

٨. البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيممحمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٩. البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط١، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
١٠. البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٨هـ.
١١. الجرجاني علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
١٢. حشاد، الزلازل والبراكين رؤية إيمانية، موقع رابطة العالم الإسلامي: https://www.eajaz.org
١٣. الخازن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
١٤. الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤٢٠هـ.
١٥. رضا محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

١٦. الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تاج العروس، دار الهداية.
١٧. الزحيلي وهبة بن مصطفى، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.
١٨. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الكشاف، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤٠٧هـ.
١٩. السعدي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٢٠. الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن،مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٢١. عمر حمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
٢٢. الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، د.ط، دار ومكتبة الهلال.
٢٣. الفيروزابادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٢٤. القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام

القرآن، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

٢٥. مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٢٦. المقدسي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧هـ)، فتح الرحمن في تفسير القرآن، دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإِسلامِيّة- إدَارَةُ الشُؤُونِ الإِسلاَمِيّةِ)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٢٧. النجار، من التفسير العلمي للقرآن الكريم (الجزء الثلاثون)، د.ط.

٢٨. النجار، وألقى في الأرض رواسي، موقع: د/زغلول النجار، https://www.znaggar.com/2002/12/9-12-2002.html، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢٠/١١/٢٤م.

٢٩. النسفي أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣٠. الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد ابن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (توفي ٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الفهرس
الملخص العربي	٨٢٧
الملخص الإنجليزي	٨٢٨
المقدمة	٨٢٩
المبحث الأول: النوازل في القرآن الكريم	٨٣٢
أولا: النوازل في اللغة وفي الاصطلاح	٨٣٢
ثانياً: النوازل في القرآن الكريم	٨٣٥
ومن أهم النوازل التي وردت في القرآن الكريم	٨٣٥
أولاً: الزلازل	٨٣٥
ثانياً: أن الله (ﷻ) ثبتها بالجبال	٨٣٦
ثالثاً: الخسف	٨٣٩
رابعا: البحر وموجات المد البحري (Tsunamis)	٨٤٠
خامساً: البراكين (Volcanos)	٨٤٢
سادساً: الفيضانات	٨٤٥
سادسا: الجدب	٨٤٨
سابعا: الصواعق	٨٤٩
ثامناً: الرياح والأعاصير	٨٥١
تاسعا: الجوائح الحشرية	٨٥٤
المبحث الثاني: بواعث النوازل في القرآن الكريم	٨٥٧
أولاً: الابتلاء	٨٥٨

ثانيا: إظهار قدرة الله تعالى	٨٦١
ثالثاً: الكفر وتكذيب الرسل	٨٦٣
رابعا: الطغيان	٨٦٥
خامساً: الترف	٨٦٦
سادسا: كثرة الذنوب والمعاصي	٨٦٨
المبحث الثالث: آثار النوازل في القرآن الكريم	٨٧٠
أولاً: الآثار الدينية	٨٧٠
ثانياً: الآثار الاجتماعية	٨٧٤
ثالثاً: الآثار البيئية	٨٧٧
الخاتمة	٨٧٩
المصادر والمراجع	٨٨١
فهرس الموضوعات	٨٨٥